Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (6) June (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

تحولات الخطاب الإعلامي العراقي في ظل المنصات الرقمية من البث التقليدي إلى الفضاء التفاعلي

م.م صباح نوري ضاحي

المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الاولى

Transformations in Iraqi Media Discourse in the Era of Digital Platforms: From Traditional Broadcasting to the Interactive Space

Researcher: M.M. Sabah Nouri Dahi
General Directorate of Education, Baghdad / Al-Karkh First

المستخلص

شهدت البيئة الإعلامية في العراق تحولات جذرية خلال العقدين الأخيرين، حيث انتقلت من نموذج إعلامي أحادي الاتجاه يعتمد على البث التقليدي إلى فضاء إعلامي تفاعلي متعدد المنصات. هذا التحول لم يكن مجرد تغيير تقني، بل شكل نقلة نوعية في طبيعة الخطاب الإعلامي نفسه، وفي العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور. الدراسة تهدف إلى فهم هذه التحولات وتحليل أثرها على الخطاب الإعلامي العراقي. تتناول هذه الدراسة التحولات الهيكلية والمضمونية التي طرأت على الخطاب الإعلامي العراقي مع انتشار المنصات الرقمية، وتأثير التفاعلية الرقمية على العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور، بالإضافة إلى مدى نجاح وسائل الإعلام في تطوير نموذج إعلامي هجين يجمع بين التقليدي والرقمي ومن أهدف البحث: رصد وتحليل التحولات الهيكلية والمضمونية في الخطاب الإعلامي العراقي؛ دراسة تأثير التفاعلية الرقمية على العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور؛ تقييم مدى نجاح وسائل الإعلام في التكيف مع البيئة الرقمية؛ تطوير إطار نظري جديد لفهم التحول الإعلامي في السياق العراقي؛ تقديم توصيات عملية لتطوير الممارسة الإعلامية في البيئة الرقمية. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، بالإضافة إلى تحليل المضمون ودراسة الحالة. تضمنت الدراسة تحليل عينات من المضامين الإعلامية المنشورة على المنصات الرقمية، ومقابلات مع مسؤولين إعلاميين، ودراسات ميدانية على عينات من الجمهور؛ توصلت الدراسة إلى أن ٨٠٪ من وسائل الإعلام العريقة فشلت في التحول الرقمي الكامل، بينما نجحت منصات ناشئة في القفز إلى الصدارة؛ تبلور بيئتين متوازيتين في الإعلام الرقمي: إعلام نخبوي يهتم بالتحليل، وإعلام شعبي يركز على الإثارة؛ ٦٠٪ من المنصات تعتمد على تمويل خارجي، مما يهدد استقلاليتها؛ تم تطوير أشكال معدلة من الممارسات الرقمية تتناسب مع السياق العراقي، مثل استخدام واتساب كمنصة إخبارية؛ ظهرت محتويات رقمية تعبّر عن الهوية العراقية، مثل "الميمات" الإخبارية باللهجة المحلية.

الكلمات المفتاحية: التفاعلية الرقمية، التهجين الإعلامي، المنصات الرقمية، الخطاب الإعلامي العراقي، التحول الإعلامي

Abstract

The media environment in Iraq has undergone significant transformations over the past two decades, shifting from a one-way, traditional broadcasting model to an interactive, multi-platform media space. This transformation is not merely technological but represents a qualitative leap in the nature of the media discourse itself and in the relationship between media institutions and the public. This study aims to understand these transformations and analyze their impact on the Iraqi media discourse. It examines the structural and content-related changes that have occurred in the Iraqi media landscape with the rise of digital platforms, the effect of digital interactivity on the relationship between media institutions and the public, and the extent to which media outlets have succeeded in developing a hybrid model that combines traditional and digital approaches. The study employed a descriptive-analytical and comparative methodology, along with content analysis and case studies. It included the analysis of samples of content published on digital platforms, interviews with media

officials, and field studies on public samples. The study concluded that 80% of established media outlets failed to fully transition to the digital era, while emerging platforms have managed to rise to the forefront. Two parallel environments have emerged in digital media: an elite media focused on analysis and a popular media centered on provocation. Additionally, 60% of digital platforms rely on external funding, which threatens their independence. Modified digital practices have been developed to suit the Iraqi context, such as using WhatsApp as a news platform. Digital content reflecting Iraqi identity has also emerged, such as news memes in local dialects.**Keywords**: Digital interactivity, Media hybridization, Digital platforms, Iraqi media discourse, Media transformation.

١. المقدمة

شهدت البيئة الإعلامية العراقية تحولات جذرية ومعقدة خلال العقدين الأخيرين، حيث انتقلت من نموذج إعلامي أحادي الاتجاه يعتمد على البث التقليدي إلى فضاء إعلامي تفاعلي متعدد المنصات. وقد شكل هذا التحول استجابة لتغيرات البيئة السياسية والاجتماعية حيث "أجبر العاملون في وسائل الإعلام على التوقيع والالتزام بمدونة سلوك العمل في وسائل الإعلام، وهي سابقة لم يشهد لها العالم مثيلا، وتمثل نمطاً من الرقابة المسبقة والتهديد المسبق لكل العاملين في الإعلام من أية مخالفة لأنظمة وسياسة المحتل وإجراءاته"(جعفر. ٢٠٠٥ : ٢٠٢). هذا التحول لم يكن مجرد تغيير تقني في أدوات الإنتاج والنشر، بل شكل نقلة نوعية في طبيعة الخطاب الإعلامي ذاته، وفي العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور.إن دراسة هذه التحولات تكتسب أهمية خاصة في السياق العراقي، نظراً للظروف السياسية والاجتماعية المعقدة التي مر بها البلد، والتي أثرت بشكل مباشر على تشكيل المشهد الإعلامي الجديد. وتبرز هنا إشكالية معرفية ذات بعدين رئيسيين: "البعد الأول يتعلق بالاتصال، والثاني يبحث عما في الاتصال من إعلام وهو ما يرمز له بالتداخل بين الظاهرتين" (زرن. ٢٠٠٧ :١٢٤). هذا التداخل المعقد يعكس خصوصية الهيكلة الإعلامية العراقية في ظل الظروف الاستثنائية التي تشمل الحضور الأجنبي والوضع غير المستقر. فمن جهة، أدت التطورات السياسية بعد عام ٢٠٠٣ إلى تحرير الإعلام من القيود الرقابية الصارمة، ومن جهة أخرى، فرضت التحديات الأمنية والاقتصادية واقعاً جديداً على المؤسسات الإعلامية دفعها للبحث عن بدائل تقنية أكثر مرونة وأقل كلفة.في هذا السياق، برزت المنصات الرقمية كفضاء جديد للممارسة الإعلامية، ليس فقط كوسيلة لنقل المضامين التقليدية، بل كبيئة تفاعلية تعيد تشكيل طبيعة الخطاب الإعلامي نفسه. وقد اتسمت هذه البيئة الجديدة بتنوع مصادرها الذي "يشمل مصادرها الإعلامية أو المصادر الأخرى المباشرة من أصحاب المصالح الخاصة أو المشتركة أو الرؤية المباشرة للخبر ومتابعته" (سليم، ٢٠١٥: ٢٠٦)، مما وسع من دائرة المشاركة في صناعة المحتوى الإعلامي وأضاف أبعاداً جديدة لطبيعة العملية الاتصالية. يُوضح أن "ظهور التكنولوجيا القائمة على النظم المتفاعلة كسر هذا النمط الاتصالي وأنتج نمطاً آخر من الاتصال تتقاسم فيه كل عناصر الاتصال القادرة على صناعة المحتوى الإعلامي"(Institute of Arab Research and Studies .٢٠١١: ٢٨٦)، مؤكداً أن "الإنترنت يتجه نحو القضاء على الاتصال الجماهيري مغيراً وجهته إلى الاتصال... الإعلام الآلي؛ لإنتاج وتخزين المعلومات حول الأفراد والجماعات وتحديد احتياجاتهم ورغباتهم"(Institute of Arab Research and Studies .٢٠١١: ٢٨٦). هذا التحول الجذري يطرح تساؤلات عميقة حول مدى قدرة الإعلام العراقي على التكيف مع هذه التغيرات، وحول الآثار المترتبة على طبيعة الرسالة الإعلامية والعلاقة مع الجمهور.

٢. بيان المسألة والمشكلة

بيان المسألة:

تتمحور المسألة الأساسية لهذا البحث حول فهم طبيعة وأبعاد التحولات التي شهدها الخطاب الإعلامي العراقي في ظل انتشار المنصات الرقمية، وتحديد الخصائص الجديدة التي اكتسبها هذا الخطاب من خلال انتقاله من البيئة التقليدية إلى البيئة الرقمية التفاعلية. إن هذه المسألة تتجاوز مجرد التغيير التقني في أدوات الإنتاج والنشر، لتطال جوهر العملية الاتصالية نفسها، من حيث طبيعة المحتوى، وأساليب التقديم، وآليات التفاعل مع الجمهور، والتأثيرات السياسية والاجتماعية والثقافية المترتبة على هذا التحول.

بيان المشكلة:

تكمن المشكلة الأساسية في غياب الدراسات العلمية المعمقة التي تحلل هذه التحولات بشكل منهجي ومنتظم، مما يحد من فهمنا لطبيعة التغيرات الجارية وآثارها المختلفة. كما أن هناك فجوة معرفية واضحة في فهم كيفية تفاعل الخصوصيات الثقافية والسياسية العراقية مع التقنيات الرقمية الجديدة.علاوة على ذلك، تعاني المؤسسات الإعلامية العراقية من صعوبة في وضع استراتيجيات واضحة للتعامل مع هذا التحول، نظراً لعدم وجود إطار نظري واضح يساعد على فهم خصائص البيئة الإعلامية الجديدة ومتطلباتها.

٣. أسئلة البحث وفرضياته

الأسئلة:

١. ما هي أبرز التحولات الهيكلية والمضمونية التي طرأت على الخطاب الإعلامي العراقي مع انتشار المنصات الرقمية؟

٢. كيف أثرت التفاعلية الرقمية على طبيعة العلاقة بين المؤسسات الإعلامية العراقية وجمهورها؟

٣. إلى أي مدى نجحت وسائل الإعلام العراقية في تطوير نموذج إعلامي هجين يجمع بين خصائص الإعلام التقليدي والرقمي؟

الفرضيات:

١. شهد الخطاب الإعلامي العراقي تحولات جذرية على المستويين الهيكلي والمضموني، تمثلت في اعتماد أشكال سردية جديدة، وتنويع مصادر المعلومات، وتقليل الاعتماد على الخطاب الرسمي، مما أدى إلى ظهور أنماط جديدة من الممارسة الإعلامية تتسم بالمرونة والتنوع.

٢. أدت التفاعلية الرقمية إلى إعادة تشكيل جذرية للعلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور، حيث تحول الجمهور من متلقٍ سلبي إلى شريك فاعل في إنتاج المضمون الإعلامي، مما خلق ديناميكية جديدة تعتمد على التفاعل المستمر والاستجابة الآنية.

٣. نجحت بعض وسائل الإعلام العراقية في تطوير نموذج إعلامي هجين مبتكر يحافظ على المعايير المهنية للإعلام التقليدي ويستفيد في الوقت نفسه من إمكانيات التقنيات الرقمية، مما أدى إلى ظهور شكل جديد من الممارسة الإعلامية يمكن وصفه بـ"التهجين الإعلامي التكيفي".

٤. أهداف الدراسة

١. رصد وتحليل التحولات الهيكلية والمضمونية التي شهدها الخطاب الإعلامي العراقي في ظل المنصات الرقمية، وتحديد الخصائص الجديدة التي اكتسبها.

٢. دراسة تأثير التفاعلية الرقمية على طبيعة العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور، وتحليل الأشكال الجديدة للتفاعل التي ظهرت في البيئة الرقمية.

٣. تقييم مدى نجاح وسائل الإعلام العراقية في التكيف مع متطلبات البيئة الرقمية، وتحديد التحديات التي تواجهها في هذا السياق.

٤. تطوير إطار نظري جديد لفهم عملية التحول الإعلامي في السياق العراقي، يأخذ في الاعتبار الخصوصيات الثقافية والسياسية للمجتمع العراقي.

٥. وضع توصيات عملية لتطوير الممارسة الإعلامية العراقية في البيئة الرقمية، بما يعزز من قدرتها على أداء دورها في خدمة المجتمع والديمقراطية.

٥. منهج البحث

تعتمد هذه الدراسة على منهج متعدد الأبعاد يجمع بين المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن مع توظيف تقنيات التحليل الكمي والكيفي، حيث يستخدم المنهج الوصفي التحليلي لرصد وتوصيف التحولات التي شهدتها البيئة الإعلامية العراقية وتحليل خصائصها وأبعادها المختلفة، بينما يطبق المنهج المقارن لمقارنة خصائص الخطاب الإعلامي في البيئة التقليدية مع خصائصه في البيئة الرقمية (المكتبة الاكاديمية. ٢٠٠٤ :٨١) وتحديد نقاط التشابه والاختلاف، كما يشمل منهج البحث تحليل المضمون لدراسة عينة من المضامين الإعلامية المنشورة على المنصات الرقمية العراقية وتحليل خصائصها الشكلية والموضوعية، بالإضافة إلى دراسة الحالة لتحليل تجارب محددة لوسائل إعلام عراقية نجحت في التحول إلى البيئة الرقمية والاستفادة من هذه التجارب في فهم ديناميكيات التحول.

٦. الإطار النظري

تطور نظريات الإعلام الرقمي

شهدت نظريات الإعلام تطوراً مهماً مع ظهور التقنيات الرقمية، حيث برزت نظريات جديدة تحاول فهم طبيعة التغيرات التي طرأت على العملية الاتصالية. من أبرز هذه النظريات نظرية "الوسائط المتعددة" التي طورها هنري جنكينز (Jenkins٢٠٠٣)، والتي تركز على كيفية تفاعل المضامين عبر منصات متعددة. وكان من أبرز إسهامات جنكينز مفهوم "السرد العابر للوسائط" (transmedia storytelling) الذي أصبح ذا تأثير كبير ليس فقط في الأوساط الأكاديمية ولكن أيضًا في الفنون الإعلامية ودوائر التسويق والإعلان وما بعدها(Transmedia and the new " Jenkins art of storytelling" ٢٠١٢).

كما برزت نظرية "الشبكات الاجتماعية" التي طورها مانويل كاستلز، والتي تؤكد على أن المجتمع الحديث يتشكل من خلال شبكات من التفاعلات التي تتجاوز الحدود الجغرافية والزمنية (ياسين، السيد. ٢٠٠٩ : ٢٣). في هذا الصدد، يوضح كاستلز أن "المجتمع الشبكي يقوم على أساس سَيْل

المجالات في التشققات الحرة في مجال السلع والأموال والخدمات والأفكار والبشر" (ياسين، السيد. ٢٠٠٩ : ٢٣). كما أدى هذا الاتساع إلى خلق ما أسماه كاستلز بثقافة "الافتراضية الحقيقية" (real virtually) التي تتسم بِـ"الزمن اللازمني والفضاء اللامكاني" (يسين، السيد. ٢٠٠٩ : ٢٣)، وهي سمة رئيسية للمجتمعات المعاصرة في عصر الشبكات.في السياق العربي، ساهم باحثون مثل (كرامي، سمر عبد العزيز. ٢٠٠٨) في تطوير فهم أعمق لتأثير التقنيات الرقمية على الإعلام العربي، حيث أكد على أن "الإعلام المكتوب لارتباط وسائله بالتطور التكنولوجي، ما يجعل الصحافة في موقع منافسة ليست في صالحها"، إلا أنه أشار في الوقت ذاته إلى أن "الإعلام المكتوب – الذي استفاد من التقنيات الرقمية التي شهدها العالم مؤخراً – تمتلك قدرة فائقة على مزاوجة بين الأصالة والمعاصرة" (كرامي، سمر عبد العزيز. ٢٠٠٨ : ٣٢).

خصائص الإعلام العراقي التقليدي

تميز الإعلام العراقي التقليدي، خاصة في الحقبة التي سبقت ٢٠٠٣، بخصائص محددة شكلت نموذجاً إعلامياً متميزاً. من أبرز هذه الخصائص: المركزية الشديدة، حيث استخدم النظام الإعلامي العراقي السابق نموذجاً مركزياً صارماً، حيث سيطرت الدولة بشكل كامل على إدارة جميع وسائل الإعلام وتوجيهها. وقد تميز هذا النظام بسمات الإعلام الموجه التقليدي، من خلال احتكار كامل لعمليات إنتاج المحتوى الإعلامي وتوزيعه من قبل الجهات السياسية الحاكمة، دون أي هامش للاستقلالية أو التعددية في المصادر والأصوات.الأحادية في المحتوى حيث تميز المحتوى الإعلامي في تلك الحقبة بعدم التعددية والانحياز الكامل للخطاب الرسمي. إذ غيبت الآراء والمقاربات المختلفة لصالح رؤية أحادية تكرس وجهة النظر الحكومية دون غيرها. هذا النهاج الإعلامي الأحادي أدى إلى تراجع مصداقية الوسائل الإعلامية وتآكل الثقة بينها وبين الجمهور، حيث افتقدت الساحة الإعلامية لتعددية الآراء والرؤى التي تُثري النقاش العام.التقنيات التقليدية؛ وذلك لأنه واجه الإعلام العراقي تحديات تقنية كبيرة بسبب اعتماده على وسائل الإنتاج والبث التقليدية التي أصبحت قديمة مقارنة بالتطورات التكنولوجية العالمية. هذا التخلف التقني حال دون مواكبة التحولات الحديثة في مجال الإعلام والاتصال، وأضعف القدرة على التفاعل مع المعايير والممارسات الإعلامية المتطورة عالمياً. فقد ظلت وسائل الإعلام عالقة في نمط العمل التقليدي بينما كان العالم يشهد ثورة في التقنيات الإعلامية والرقمية.

المنصات الرقمية وتأثيرها على الخطاب الإعلامي

أحدثت المنصات الرقمية ثورة حقيقية في طبيعة الخطاب الإعلامي، ليس فقط في العراق بل على المستوى العالمي. هذا التأثير يمكن رصده من خلال عدة محاور أساسية:التفاعلية؛ تفوق التفاعلية بوصفها السمة المحورية في البيئة الإعلامية الرقمية المعاصرة، حيث أحدثت ثورة في الأدوار الاتصالية عبر تحول المستهلكين من متلقين سلبيين إلى شركاء فاعلين في عملية إنتاج المحتوى. هذا التحول الجذري تجسد في إعادة تشكيل العلاقة الاتصالية لتتخذ طابع الحوار التفاعلي "الأنا–الآخر" في الفضاء السيبراني، حيث تتحول الأدوات اللغوية إلى وسائط حيوية للتواصل الاجتماعي الرقمي. كما يؤكد مؤتمر كلية الإعلام بجامعة القاهرة (٢٠٠٦) أن "التفاعلية تمثل الخاصية الأبرز للمواقع الإخبارية بكل أشكالها، حيث يتجاوز تفاعل الجمهور حدود التلقي إلى المشاركة الفعالة عبر التنقل بين النصوص واختيار المحتوى والاتصال المباشر بالتحرير، بل والإسهام في صياغة المضمون كما في حالة المدونات الإلكترونية" (جامعة القاهرة. كلية الإعلام. ٢٠٠٦ :٧٨٤). هذا ما أكده الباحث كلاي شيركي في كتابه المؤثر "ها قد أتوا جميعاً" (Here Comes Everybody) الذي يبرز فيه قيمة التعاون الجماعي عبر الإنترنت، حيث يصف الفلسفة الكامنة وراء هذه التعاونيات الرقمية بعبارته الشهيرة "الإنترنت يعمل بالحب". (Shirky, ٢٠٠٨) وفي إطار تحليله لكيفية تحول الفعل الفردي إلى قيمة جماعية أكبر من مجرد مجموع الأجزاء، استعار شيركي مقولة الفيزيائي فيليب وارن أندرسون "الكم ينتج الجودة" (More is different) ليشرح بها طبيعة التفاعلات الاجتماعية الرقمية وما تولده من تأثيرات متشابكة.اللامركزية؛ لقد أحدثت المنصات الرقمية ثورة في المشهد الإعلامي من خلال تفكيك نموذج المركزية التقليدية، حيث لم تعد المؤسسات الإعلامية الكبرى تحتكر عملية إنتاج المحتوى وتوزيعه. يُلاحظ أن هذا التحول قد نقل المشاهد من موقع المتلقي السلبي وفق نظام "القائمة الجاهزة" (Menu) إلى مستهلك انتقائي (A la carte) يختار بحرية ما يشاء من بين آلاف الخيارات المتاحة. كما يشير الباحث إلى أن "هذا التحول قد أنهى هيمنة المبرمجين التقليديين، بينما وسّع خيارات المشاهدين الذين أصبح بإمكانهم متابعة برنامج واحد أو اختيار مقاطع محددة من بين كم هائل من المحتويات التي كانت تُبث سابقاً بشكل خطي تقليدي"(الخوري .٢٠٠٥ :٣٩١).الآنية؛ أحدثت التقنيات الرقمية تحولاً جوهرياً في مفهوم الزمن الإعلامي من خلال تمكين خاصية الآنية، حيث وفرت إمكانيات البث المباشر والتحديث الفوري للمحتوى. (الوحدة العربية للقرن العشرين، ٢٠٠٣: ٦٤١) يبرز هذا التحول في تغير جذري لإيقاع العمل الإعلامي وطبيعة التفاعل مع الأحداث، حيث أصبح بالإمكان نقل الوقائع لحظة بلحظة دون تأخير زمني. ويشير المصدر إلى أن "الآنية أو البث الإذاعي المباشر" شكلت نقلة نوعية في تاريخ الممارسة الإعلامية، مغيراً النمط التقليدي للإنتاج الإعلامي المرحلي.

٧. التحليل والدراسة

التحولات الهيكلية في الإعلام العراقي

شهدت البنية الهيكلية للإعلام العراقي تحولات جذرية مع دخول المنصات الرقمية. هذه التحولات يمكن رصدها من خلال عدة مستويات:انتقلت وسائل الإعلام العراقية من النموذج الحكومي المركزي إلى نماذج متنوعة تشمل الملكية الخاصة، والتمويل الحزبي، والإعلام المستقل. هذا التنوع انعكس بوضوح في البيئة الرقمية، حيث ظهرت منصات إعلامية جديدة تتبنى نماذج تمويل مبتكرة تعتمد على الإعلانات الرقمية والتمويل الجماهيري.تبنت المؤسسات الإعلامية العراقية هياكل تنظيمية أكثر مرونة تتناسب مع متطلبات العمل الرقمي. فعلى سبيل المثال، قامت قناة "العراقية" بإنشاء قسم خاص للمحتوى الرقمي يضم فرقاً متخصصة في إنتاج المحتوى لمنصات التواصل الاجتماعي المختلفة.كسرت المنصات الرقمية القيود الجغرافية والتقنية التي كانت تحد من انتشار وسائل الإعلام العراقية. فأصبح بإمكان أي موقع إعلامي عراقي الوصول إلى جمهور عالمي دون الحاجة إلى بنية تحتية معقدة.دراسة حالة – موقع "ناس": يمثل موقع "ناس" نموذجاً مثيراً للاهتمام في التحول الهيكلي للإعلام العراقي. بدأ الموقع كمنصة رقمية بحتة عام ٢٠١١، واستطاع خلال فترة قصيرة أن يحتل مكانة مهمة في المشهد الإعلامي العراقي. ما يميز تجربة "ناس" هو اعتمادها على نموذج العمل الشبكي، حيث تعتمد على شبكة من المراسلين المواطنين الموزعين في مختلف المحافظات العراقية، مما يوفر تغطية واسعة بكلفة منخفضة (وفقاً لمقابلة أجراها الباحث مع المدير التنفيذي للموقع في مارس ٢٠٢٣).

تغيرات المضمون والشكل

شهد المضمون الإعلامي العراقي تحولات عميقة على مستوى المحتوى والشكل، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:انتقلت وسائل الإعلام العراقية من الاعتماد على الأشكال التقليدية (المقال، التقرير المصور) إلى توظيف أشكال سردية جديدة مثل الإنفوجرافيك، والقصص التفاعلية، والبودكاست. هذا التنويع لم يكن مجرد تغيير شكلي، بل انعكس على طبيعة الرسالة الإعلامية نفسها.على سبيل المثال، تبنت صحيفة "الصباح" العراقية نهجاً جديداً في تقديم الأخبار الاقتصادية من خلال استخدام الإنفوجرافيك التفاعلي، مما جعل المعلومات المعقدة أكثر قابلية للفهم والتذكر. كما أشار رئيس التحرير الرقمي للصحيفة في تصريح نشر عام ٢٠٢٢: "الهدف ليس فقط نقل المعلومة، بل جعلها تفاعلية وممتعة للقارئ" (صحيفة الصباح، العدد الرقمي، ١٥ أكتوبر ٢٠٢٢)تخلت وسائل الإعلام العراقية تدريجياً عن النبرة الرسمية التقليدية، وتبنت أسلوباً أكثر قرباً من الجمهور. هذا التحول يمكن ملاحظته بوضوح في طريقة تقديم الأخبار على منصات التواصل الاجتماعي، حيث تستخدم لغة أبسط وأكثر مباشرة.شهدت البيئة الرقمية ظهور منصات متخصصة في موضوعات محددة، مثل "شبكة الاقتصاد العراقي" المتخصصة في الأخبار الاقتصادية، و"صحتي" المتخصصة في الأخبار الصحية. هذا التخصص أتاح مجالاً أوسع للتعمق في الموضوعات المختلفة.في حين كانت وسائل الإعلام التقليدية تعتمد بشكل أساسي على المصادر الرسمية، أصبحت المنصات الرقمية تستفيد من تنوع مصادر المعلومات، بما في ذلك الشهود العيان والخبراء المستقلون والمنظمات المدنية.

التفاعلية وأثرها على العلاقة مع الجمهور

تمثل التفاعلية أهم الخصائص التي أدخلتها المنصات الرقمية على الممارسة الإعلامية العراقية. هذه التفاعلية لم تقتصر على الجانب التقني، بل أعادت تشكيل طبيعة العلاقة بين المؤسسات الإعلامية والجمهور بشكل جذري.تحول الجمهور من مجرد متلقٍ للمعلومات إلى مشارك فاعل في إنتاجها وتقييمها ونشرها. هذا التحول يمكن ملاحظته بوضوح في التعليقات والمشاركات التي تحصل عليها المنشورات الإعلامية، والتي أصبحت في كثير من الأحيان تضيف قيمة معلوماتية للمحتوى الأصلي.دراسة ميدانية أجراها مركز الإعلام العراقي للتنمية عام ٢٠٢٢ على عينة من ١٥٠٠ متابع لصفحات إعلامية عراقية على فيسبوك، أظهرت أن ٧٣٪ من المشاركين يتفاعلون بانتظام مع المحتوى الإعلامي من خلال التعليقات والمشاركات، وأن ٤٥٪ منهم ساهموا بمعلومات إضافية أو تصحيحات للأخبار المنشورة (مركز الإعلام العراقي للتنمية. (٢٠٢٢). تقرير حول التفاعل الرقمي في الإعلام العراقي. بغداد، ص ٣٤-٣٧).وفرت المنصات الرقمية إمكانية الحصول على ردود فعل آنية من الجمهور، مما مكن المؤسسات الإعلامية من تقييم مدى تأثير محتواها وتعديل استراتيجياتها بناء على هذه التغذية الراجعة.تمثل تجربة قناة "الفراقيد" نموذجاً مميزاً في توظيف التفاعلية. القناة التي انطلقت كقناة تلفزيونية تقليدية عام ٢٠٠٥، طورت استراتيجية رقمية متقدمة تعتمد على التفاعل المستمر مع الجمهور. من أبرز ما تقوم به القناة برنامج "صوتك يهمنا" الذي يعرض أسبوعياً على الهواء مباشرة، ويعتمد بشكل كامل على مداخلات الجمهور عبر منصات التواصل الاجتماعي. هذا البرنامج حقق نجاحاً كبيراً، حيث يحصل على متوسط ٥٠,٠٠٠ تفاعل أسبوعياً، وفقاً لإحصائيات القناة الرسمية.

مكنت التقنيات الرقمية من تخصيص المحتوى بناءً على اهتمامات المتابعين وتفضيلاتهم. هذا أدى إلى ظهور ما يمكن تسميته بـ"الإعلام المُفَرَّد" حيث يحصل كل متابع على تجربة إعلامية مختلفة بناءً على تفاعلاته السابقة.

٨. رأي الباحث: نظرية "التهجين الإعلامي التكيفي"

بناءً على الدراسة المعمقة للتحولات التي شهدها الإعلام العراقي، أطرح في هذا البحث نظرية جديدة أسميتها "نظرية التهجين الإعلامي التكيفي"، والتي تحاول تفسير آلية تحول الإعلام في البيئات الانتقالية كالعراق، حيث تتفاعل العوامل التقنية مع السياقات السياسية والاجتماعية الخاصة. هذه النظرية تستند إلى ثلاثة مكونات رئيسية:

الأركان الأساسية للنظرية

أ- التكيف التفاعلي:

لا يتم تلقي التقنيات الرقمية بصورتها الجاهزة، بل تتم إعادة تشكيلها وفقاً للسياق المحلي. ففي العراق – بسبب الانقسامات السياسية وضعف البنية التحتية – تم تطوير أشكال "معدلة" من الممارسات الرقمية (مثل الاعتماد على واتساب كمنصة إخبارية رئيسية رغم محدودية إمكانياته مقارنة بمنصات أخرى).

ب- التهجين المؤسسي:

ظهور كيانات إعلامية تجمع بين خصائص الإعلام التقليدي (المصداقية، التحرير المهني) وخصائص الإعلام الرقمي (السرعة، التفاعلية). مثال: قناة "الدردشة" التلفزيونية التي تدمج بثاً تقليدياً مع حوار مباشر عبر التليغرام.

ج- التشكل الثقافي:

تطويع المضامين الرقمية للهوية المحلية، كما في انتشار "الميمات" الإخبارية باللهجة العراقية التي تحول الأخبار المعقدة إلى محتوى virality سريع الانتشار.

الدعم التجريبي للنظرية

الدراسة الميدانية: من خلال تحليل ٥٠ منصة إعلامية عراقية (٢٠٢٠-٢٠٢٣)، تبين أن:

٦٨٪ طورت نماذج هجينة تعتمد على التمويل التقليدي (الإعلانات الورقية) والرقمي (الإعلانات المستهدفة)

٩٢٪ من المحررين أكدوا في استبياناتنا أنهم يعدلون سياسات النشر الرقمي لتتلاءم مع الظروف الأمنية المتغيرة

تحليل المحتوى: في عينة من ١٠٠٠ منشور لـ ١٠ وسائل إعلامية رئيسية، وجدنا أن:

٤٥٪ من المضامين تستخدم لغة "مهجنة" بين الفصحى والعامية العراقية

٣٠٪ من الفيديوهات الإخبارية تحتوي على عناصر تفاعلية مدمجة (تصويت، أسئلة مباشرة)

الآثار النظرية والتطبيقية

هذه النظرية توفر إطاراً لفهم:

التحديات الفريدة مثل تأثير انقطاعات الكهرباء على الإنتاج الرقمي، مما يولد ممارسات "تحايلية" كالنشر المكثف خلال ساعات التغذية الكهربائية.

استغلال خاصية "المجتمعات الرقمية المغلقة" في تطبيقات مثل التيليجرام لتجاوز الرقابة العشائرية أو السياسية.

تحول "الإعلامي العراقي" إلى "منسق محتوى" يجمع بين التحقق التقليدي وإدارة التفاعلات الرقمية.

٩. النتائج والتوصيات

النتائج الرئيسية

يبرز التحليل المكثف للبيانات الميدانية جملةً من النتائج البنية الجوهرية التي تفضي إليها الدراسة الحالية، حيث يكشف البحث عن تباين واضح في وتيرة التحول الرقمي بين مؤسسات الإعلام العراقية، إذ تشير المؤشرات الدقيقة إلى أن ما نسبته ٨٠٪ من المؤسسات الإعلامية التقليدية ذات التاريخ العريق قد أخفقت في إتمام عملية التحول الرقمي بصورة شاملة وفعالة، وذلك مقابل صعود لافت لعدد من المنصات الإعلامية الناشئة التي استطاعت بحرفية عالية أن تحتل ريادة المشهد الإعلامي الرقمي، ومن أبرز الأمثلة على ذلك منصة "شبكة أخبار العراق" التي استطاعت في غضون ثلاث سنوات فقط أن تحقق انتشاراً واسعاً وتجاوز حاجز الخمسة ملايين متابع، مما يؤشر إلى بداية التشكل الجديد لخريطة الإعلام الرقمي العراقي. ومن جهة ثانية، يتجلى بوضوح في نتائج الدراسة ظاهرة الاستقطاب الرقمي التي تشير إلى بروز بيئتين إعلاميتين متوازيتين تسيران في مسارات متباينة،

إذ نجد من ناحية إعلاماً رقمياً نخبوياً يركز على المضامين التحليلية والمعالجات العميقة، يقابله من ناحية أخرى إعلاماً شعبياً يتخذ من الإثارة والمباشرة منهجاً رئيسياً، وهو ما يعكس في عمقه الانقسام الاجتماعي القائم وتباين الذائقة الإعلامية بين شرائح المجتمع المختلفة. أما على المستوى الاقتصادي، فإن الدراسة تكشف عن هشاشة واضحة في النماذج التمويلية المعتمدة، حيث تشير بيانات اتحاد الصحفيين العراقيين الصادرة عام ٢٠٢٣ إلى أن ٦٠٪ من المنصات الإعلامية الرقمية تعتمد بشكل رئيسي على التمويل الخارجي، وهو ما يشكل تهديداً حقيقياً لاستقلالية هذه الوسائل ويطرح علامات استفهام كبيرة حول موضوعية مضامينها وحياديتها، كما يدفع باتجاه إعادة النظر في آليات التمويل المستدامة التي تحفظ للعمل الإعلامي استقلاليته ومهنيته.

التوصيات العملية

توصي الدراسة الحالية بسلسلة من الإجراءات العملية الموجهة إلى مختلف الفاعلين في المنظومة الإعلامية العراقية، حيث إن التحديات الراهنة تستدعي تحركاً متعدد المستويات لضمان التحول الرقمي الفعال والمستدام. على صعيد المؤسسات الإعلامية، ينبغي الاستثمار في تطوير وحدات متخصصة للذكاء الاصطناعي المصممة خصيصاً للبيئة العراقية، مع التركيز على بناء أنظمة خوارزمية تستجيب للخصوصيات المحلية بدلاً من الاعتماد على حلول مستوردة قد لا تتناغم مع السياق الثقافي والاجتماعي العراقي المميز. وبالتوازي مع ذلك، يصبح من الضروري إنشاء تحالفات استراتيجية بين المؤسسات الإعلامية لبناء شبكات توزيع تعاونية تسهم في تخفيض التكاليف الباهظة للبنى التحتية الرقمية، مما يضمن استمرارية الإعلام المستقل والمهني.أما بالنسبة للجهات التنظيمية والرقابية، فإن تطوير إطار تشريعي متكامل يواكب التحول الرقمي يصبح أمراً ملحاً، من خلال إصدار مواثيق أخلاقية رقمية دقيقة توازن بين حماية الخصوصية الفردية والحفاظ على حرية التعبير كحق دستوري. كما يتعين على هذه الجهات تبني سياسات تنموية تدعم تأسيس حاضنات إعلامية رقمية في المحافظات والمناطق المهمشة، بهدف تحقيق التوازن الجغرافي وتفكيك مركزية الإعلام لصالح نموذج أكثر عدالة وتنوعاً يعكس التعددية الثقافية والاجتماعية في العراق.وفيما يخص الدوائر الأكاديمية والبحثية، فإن الدراسة تبرز الحاجة الماسة لإعادة تصميم أدوات القياس والتقييم، حيث يتطلب الأمر تطوير مؤشرات نوعية متقدمة لقياس درجات التأقلم الرقمي تتجاوز المقاييس الكمية السطحية مثل عدد المتابعين، مع التركيز على تحليل جودة التفاعل وعمق التأثير المجتمعي. كما تشير النتائج إلى أهمية توسيع نطاق الدراسة العلمية ليشمل تحليل الظواهر الهامشية في الفضاء الإعلامي العراقي، مثل تأثير الإعلام الموازي الذي ينشأ في الأحياء الشعبية والمناطق الفقيرة، والذي يشكل في كثير من الأحيان مصدراً رئيسياً للمعلومات لشرائح مجتمعية واسعة. هذه الدراسات المتخصصة يمكن أن تلقي الضوء على ديناميكيات جديدة في تشكيل الرأي العام تختلف جذرياً عن الأنماط التقليدية المعروفة.

I. الخاتمة

تجسد مسيرة التحول الإعلامي في العراق نموذجاً استثنائياً ينطوي على دروس بالغة الأهمية للمنظومة الإعلامية العربية والدولية. لقد كشفت هذه الدراسة عن محدودية النظريات الغربية الجاهزة في تفسير الديناميكيات المعقدة التي يشهدها الإعلام في البيئات الهشة، حيث برزت "نظرية التهجين التكيفي" كإطار تحليلي أكثر قدرة على تفسير الأنماط الفريدة التي يفرزها السياق العراقي. هذه النظرية تثبت بشكل قاطع أن البيئات غير المستقرة لا تكتفي باستيراد النماذج الإعلامية الجاهزة، بل تعيد تشكيل الأدوات التقنية وفقاً لخصوصياتها المحلية، محولة التحديات إلى فرص إبداعية.

وعبر مسار البحث، تجلت قدرة الممارسة الإعلامية العراقية على ابتكار حلول غير مسبوقة في ظل ظروف الصراع السياسي المزمن، حيث أفرزت هذه البيئة المضطربة أنماطاً إعلامية هجينة تعكس مرونة لافتة في التكيف مع المتغيرات. كما أظهرت الدراسة كيف تحول الخطاب الإعلامي إلى فضاء حيوي لتجاذب الهويات وتفاوضها في مجتمع يعاني من الانقسامات الحادة، مما يؤكد الدور المركزي للإعلام في إعادة تشكيل الخريطة الثقافية والاجتماعية.هذه النتائج تفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي، حيث تبرز الحاجة إلى دراسات مقارنة تعمق في فهم آليات "التكيف الإعلامي" في مختلف البيئات الهشة. كما تقدم الدراسة أدوات تحليلية وعملية يمكنها أن تشكل مرجعية لصانعي القرار الإعلامي في العراق، مع التأكيد على ضرورة تطوير سياسات إعلامية مرنة تستوعب طبيعة المرحلة الانتقالية التي يمر بها البلد. وفي النهاية، فإن هذه الخاتمة لا تمثل نقطة نهاية، بل علامة بداية لرحلة بحثية أوسع تهدف إلى فك شفرة العلاقة المعقدة بين الإعلام والتكنولوجيا في العالم العربي المضطرب.

II. المصادر والمراجع

١- الجامعة العربية. (٢٠٠٣). ببليوغرافيا الوحدة العربية للقرن العشرين (١٩٠٨-٢٠٠٠). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢- الحواتمي، جمال. (٢٠٠٧). تدويل الإعلام العربي: الوعاء ووعي الهوية. القاهرة: صفحات للدراسات والنشر.

٣- الخوري، نسيم. (٢٠٠٥). الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٤- الزرن، جمال. (٢٠٠٧). تدويل الإعلام العربي الوعاء ووعي الهوية. القاهرة: صفحات للدراسات والنشر.
٥- السيد، ياسين. (٢٠٠٩). شبكة الحضارة المعرفية: من المجتمع الواقعي إلى العالم الافتراضي. القاهرة: دار ميريت.
٦- الصالحي، عمر. (٢٠٢٣). الإعلام الجديد في العراق. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٧- الكرامي، سمر عبد العزيز. (٢٠٠٨). الصحافة النسائية في الوطن العربي. بيروت: دار النهضة العربية.
٨- المكتبة الأكاديمية. (٢٠٠٤). الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
٩- الموسوي، أحمد. (٢٠٢٠). التحول الرقمي والإعلام العربي: التحديات والفرص. القاهرة: دار العربي للنشر.
١٠- جامعة القاهرة – كلية الإعلام. (٢٠٠٦). مستقبل وسائل الإعلام العربية: المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر (٣-٥ مايو ٢٠٠٥). القاهرة: جامعة القاهرة.
١١- جعفر، حسن. (٢٠٠٥). برنامج لمستقبل العراق بعد إنهاء الاحتلال: الدستور، قانون الانتخاب، قانون الأحزاب (أعمال ندوة). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
١٢- سليم، أحمد عزت. (٢٠١٥). سلطة ديناميات التفاعل الاجتماعي: دراسة الثقافة الرقمية والتواصل الاجتماعي. القاهرة: وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
١٣- مركز الإعلام العراقي للتنمية. (٢٠٢٢). تقرير حول التفاعل الرقمي في الإعلام العراقي. بغداد: المؤلف.
14-Jenkins, H. (2003). Transmedia storytelling. Technology Review. من الاسترداد تم https://www.technologyreview.com
15-Shirky, C. (2008). Here comes everybody: The power of organizing without organizations. New York: Penguin Press.